

لســـــــــان الســـــــــوء

من رسائل القديس

الأب صفرونيوس القصيرة

صفرونيوس إلى الإخوة في الشركة (كنوبيون)، سلامٌ في الربِّ الذي أقامنا معه. كتابةُ الرسائل لكم، تعزيةٌ وسلامٌ لقلبي، ولكني أخاف أن تصبح هذه الرسالة دينونةً رهيبةً وحكماً علينا جميعاً.

١– مَن يتكلم بلسانٍ سوءٍ ضد الإخوة، هو متحالفٌ مع الشيطان، ويسعى لكي يهلك الضعفاء والصغار. وقد قال الرسول عن الشيطان إنه هو الذي يشتكي علينا، إذ يثير غضب الإخوة ضد بعضهم البعض، وبذلك يضعهم تحت الدينونة.

٢– قبيحٌ بالذين جحدوا العالم أن يتحدثوا عن أعمال الآخرين، لا سيما إذا كانت هذه الأعمال رديئةً. لماذا يتكلم بالشّرِ مَن صَلَبَ ذاته؟ أليس لأنه نزل من على الصليب وصار مثل اللص الذي قال لابن الله اِنزل عن صليبك لكي تبرهن لنا أنك ابن الله؟ فلمَّا سمع المخلصُ هذه، لم يرد عليه. وهكذا الذين نالوا هيئة الرب في المعمودية وصار شكله مطبوعاً فيهم، متى احتقروا بنوَّتهم لله، نزلوا عن الصليب وتشاجروا مع أهل العالم، وأخذوا يملئون قلوبهم وآذانهم وآذان الناس بالوشايات والكلام الباطل.

لا تقل شيئاً ولا تردد شيئاً سمعته، حتى وإن كان حسناً. هكذا علمنا الشيوخ، فالصمتُ ليس بسكوت اللسان، وإنما أيضاً بسكوتِ القلبِ عن مذمة الناس.

٣– أمَّا الشكوى، فهي "سُمٌّ في الدسمِ"؛ لأن الذي يشتكي يتصوَّر أن الحقَّ معه، وإن كان الحقُّ معنا فبالأولى أن نصمت؛ لأن الحقَّ لا يحتاج إلى كلام. والحقُّ يعلنه السلوك المقدس الذي لا يحتاج إلى دفاع أو تفسير. أمَّا كلام المذمة، فهو عثرةٌ للصغار ودنسٌ للكبار وعائقٌ شيطانيٌّ في طريق تقدمنا الروحي.

٤– لقد قال الرسول: "المحبة تستر كثرة من الخطايا"، وكان يعني بالدرجة الأولى محبة الله الذي أعطانا فرصةً للتوبة، ولم يفضح خطايانا أمام الناس، وحَفِظَ لنا هذه الكرامة حتى لا نتوجع من خدمة الناس. فلماذا لا نحفظ نحن كرامةً للخطاة حتى إذا عادوا إلى التوبة وجدوا أن فيها ميناءَ سلامٍ بلا عواصف المذمة؟

٥– قبيحٌ بالذين يقولون إنهم مسيحيون أن يذمُّوا بعضهم بعضاً. لقد أخذنا اسمنا من المسحة التي قال عنها الرسول: "وأمَّا أنتم فلكم مِسحة من القدوس". هذه المِسحة هي عطرُ الحياة والخلاص؛ لأننا لسنا رائحةَ موتٍ تنشر المذمةَ وخطايا الإخوة، بل رائحةَ حياةٍ تنشر السلام والمحبة. فإننا إن شتمنا الناس، وأهنّا خليقة الله، ألسنا نلطِّخ المِسحةَ الحلوةَ للخلاص التي أخذناها؟ ألا نوجد متجاسرين على مجد الله العظيم؟ لأننا بعد أن نشترك في تسبيح الشاروبيم والسارافيم في الليتورجية المقدسة، تمتزج كلمات اللعنة بألسنتنا ونصبح مثل الأرواح الشريرة المجدِّفة التي تجرِّب الله بنصبِ الشراك والفخاخ كل يوم للضعفاء والمساكين.

٦– لنحارب المذمةَ واللعنةَ والكذبَ والكلام الباطل، ليس فقط من أجل الدينونة الآتية، ولكن لأن كل هذه الخطايا، إنما تهدم الكنيسة جسد المسيح الواحد، وتلطِّخ أعضاؤه وتعيق توبة الضعفاء.

٧– صلوا لأجلنا لكي نتكلم دائماً بالحق، ولا يفارق التسبيحُ أفواهنا، وإن تحدثنا مع إخوةٍ، فليكن حديثُ المحبة دائماً في قلوبنا.

سلامٌ في الرب.